ذكر بحسب قوة المرض وضعفه وكذلك اذا قوي نوره واشراقه انكشف لي صور
المعلومات وحقايقها على ما هي عليه فاستبان حسن الحسن بنوره واثره بحياته
وكذلك قبح القبيح وقد ذكر سبحانه هذين الاصلين في مواضع من كتابه قال تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا فجمع بين الروح الذي يحصل به الحياة والنور الذي يحصل به
الاضاءة والاشراق واخبر ان كتابه الذي انزله على رسوله متضمن للامرين فهو روح
تحيا به القلوب ونور تستضيء وتشرق به كما قال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ايا ومن كان كافرا ميت القلب مغمورا في ظلمة
الجهل فهديناه لرشده ووفقناه للايمان وجعلنا قلبه حيا بعد موته مشرقا مستنيرا
بعد ظلمته فجعل الكافر لانصرافه عن طاعته وجهله بمعرفته وتوحيده وشرايع دينه وشرعه
كالذي خبث بصريته في مرضاه والعمل بما يوديه الى نجاته وسعادته بمنزلة الميت الذي لا
ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها من مكروه فهديناه للاسلام ونعشناه به فصار يعرف
مضار نفسه ومنافعها ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه فابصر الحق وعرفه
وعرف بعد جهله به واتبعه بعد اعراضه عنه وحصل له نور وضياء يستضيء به فيمشي بنوره
بين الناس وهو في سدف الظلام كما قيل
ليلي بوجهك مشرق ... وظلامه في الناس سار
الناس في سدف الظلام ... ونحن في ضوء النهار
ولهذا يضرب الله المثلين المائي والناري
لوحيه ولعباده اما الاول فكما قال في سورة الرعد انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد
مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس
فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال فضرب لوحيه المثل بالماء لما يحصل
به من الحياة وبالنار لما يحصل بها من الاضاءة والاشراق واخبر سبحانه ان الاودية
تسيل بقدرها فوادٍ كبير يسع ماءً كثيرًا ووادٍ صغير يسع ماءً قليلًا كذلك القلوب
مشبهة بالاودية فقلب كبير يسع علمًا كثيرًا وقلب صغير انما يسع بقدر ذلك وشبه
ما تحتمله القلوب من الشبهات والشهوات بسبب سخافة الموحى لها وانارته لما
فيها من ذكر بما يحتمله السيل من الزبد وشبه بطلان تلك الشبهات باستقرار
العلم النافع فيها بذهاب ذلك الزبد والغاء الواحد كله وانما يستقر به الماء الذي

به النفع

به النفع وكذلك في المثل الذي يوقد عليه يذهب الخبث الذي في ذلك الجوهر ويستقر صفوه
واما ضرب هذين المثلين للعباد فكما قال في سورة البقرة مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا
يرجعون فهذا المثل الناري ثم قال او كصيب من السماء الى اخره فهذا المثل المائي وقد ذكرنا
الكلام على اسرار هذين المثلين وبعض ما تضمناه من الحكم في كتاب المعالم وغيره و
المقصود ان صلاح القلب وسعادته وفلاحه موقوف على هذين الاصلين قال تعالى ان
هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا فاخبر ان الانتفاع بالقرآن والانذار به
انما يحصل لمن هو حي القلب كما قال في موضع اخر في ذكر الذكرى لمن كان له قلب او قال
تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فاخبر سبحانه
ان حياتنا انما هي بما يدعونا اليه الرسول من العلم والايمان فعلم ان موت القلب و
هلاكه يفقد ذلك وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله باصحاب القبور وهذا من
احسن التشبيه فان ابدانهم قبور قلوبهم فقد ماتت قلوبهم وقبرت في ابدانهم فقال
تعالى انك لا تسمع من في القبور ولهذا الحسن القائل
وفي الجهل قبل الموت موت لاهله ... واجسامهم قبل القبور قبور
وان رؤاحهم في حشرة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور
ولهذا جعل سبحانه وحيه الذي يلقيه الى الانبياء روحا كما قال تعالى يلقي الروح من امره
على من يشاء من عباده في موضعين من كتابه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
لان حياة الارواح والقلوب به وهذه الحياة الطيبة التي خص بها سبحانه من
قبل وحيه وعمل به فقال من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة
طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فخصهم سبحانه بالحياة الطيبة
في الدارين ومثله قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى
اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ومثله قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين فبين سبحانه ان يسعد المحسن باحسانه
في الدنيا وفي الاخرة كما اخبر سبحانه انه يشقي المسيء باساءته في الدنيا والاخرة قال
تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وقال تعالى
فجمع بين النوعين فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله

Copyrighted Material
Syracuse University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)